مدخل:

في هذا الفصل سنحاول أن نقتفي أثر الدراسات الجمالية و البلاغية التي تسعفنا في استكناه و استنطاق مكنونات النص الجاحظي .

كان الجاحظ مقتدرًا في اختطاطه لرسائله ولم تكن هذه الرسائل رسائل ودّ ولكنّها كانت رسائل شيهةً بالكتب العلميّة التي يتدّرج فيها صاحبها حَتَى يصل إلى غاية و مبتغاها العلميّ، لَقَد كَانَ الجاحِظ هادئًا عليمًا متمكنًا و هو يخاطب الذين راسلهم ثم يتدّرج معهم إلى [فحوى رسالته] و إلى متنها الكبير .

و قبل البداية و قبل الشروع في تحليل مجمل الرسائل المختارة و المقترحة .

ينبغي التعريج على مدخل مُهمٍ و هو التعريف برسائل الجاحظ و يمن قام بإخراجها وطبعها و تسيرها للقارئ الكريم .

1- الشكل الخارجي : (خارطة الرسائل الجاحظية)

أكثر الامام الجاحظ من الكتابة في فن الرسالة حتى جاوز بها عَدَدًا معتبرًا ومحترمًا، وقد جاءت هذه الرسائل كما قلت سابِقًا عبارة عن كتب مهمة تغطى مواضيع مهمة في الأدب و السياسة و التاريخ و الدين و العصبية و الإجتماع و الإقتصاد و أحوال الناس .

2- آراء عبد السلام هارون في الرسائل:

حَاوَل المحقق الكبير الأستاذ عبد السلام هارون أن يقدم رسائل الجاحظ كما تركها صاحبها بلا زيادةٍ وَلاَ نقصانٍ وَقَد كان له ذَلِكَ .

لقد كان الأستاذ عبد السلام هارون أزهريًا عصاميًّا يسلك مَسْلَكَ المدرسة البيانية التي أسمَها كوكبه من كبار الكتاب و الأدباء و المحققين المصريين .

حتى أنه في مستهل رسائل الجاحظ يحاول أَنْ ينقمص أَدَبَهُ و أَنْ يَكتب على منواله و على سَنَنِهِ و هديه: يقول في مقدمة تحقيق لرسائل الجاحظ : << ...كَتَبْت التي – حَفِظَك الله – أن أسعى سعيًا حثيثا في إظهار مَا بقي من آثار شيخنا الجاحِظ، و زعمت أني شغلتُ عنه بغيره، و كدت أن تلومني لما فرّطتَ في جنب أبي عثمان فيما رأيتَ...

و إخالك عَرَفْتَ بَعْضَ الحق ولم تظهر عليه كلّه، فإن الحَقَّ يبدو أحيانًا في بعض الأَمْرِ أَبْلَج واضِحًا و في بَعْضِ الأَمْرِ يخفي وجهه حينًا فما تكاد تتبينه إلاَّ بعد التعرّف والتصفّح، فإني لم أفارق آثار أبي عثمان مُذْ شدوتُ، وَلاَ تزال تلك مِنْ همي وَوَكَدي، مَا يبين قراءه فيها و تنقيح و تجلية و تصحيح حتى أذيعَ منها بين الناس ما يستطيعه الجُهْدُ ويسمح به الزَمَانُ.

وقد بعثت له من قبل كتبًا ثلاثةً ضِخَامًا، بذلت فيها عطارة النفس وَمَاء الشَبَاب، وكان ذلك لنفسي صنيعًا أعتّز به و تشملني به الغبطة، لما علمت أن المنصفين من الأدباء قد تلّقوه بترحيب صادقٍ و تقديرٍ كريم ، وما كان بي – أيّدك الله – إلاَّ أن أعِدَّ أصولَ ما بقي من آثار الجاحظ و أروزها، و أنظر للصورة التي ينبغي أن تبدو فيها، فوجدتني بين خليط من المحفوظات و المطبوعات و وجدت فيما وجدت مجموعة رسائـــــل الجاحظ محفوظة بمكتبـــــــــــــــــــة (داماد إبراهيم) غنيّة بآثار للجاحظ بعضها لم تظهر عليه عيون جمهرة الأدباء .

فرأيت أن أقدمَ بنشر هذه المجموعة كاملةً في مجلدين مستقلين لهما فَهَارِسُهُمَا الفنيّة الخاصة، ريثما تُتَاحُ لي الفرصة أن أكمل جمع سائر الرسائل ...[1]

و الحق أن الأستاذ عبد السلام هارون يكون بهذا العمل قد قدم لَنَا خِدْمَةً جليلةً لم يمكن أَنْ يغفلها له تاريخ الأدب ولا يمكن أن ينساها له الجاحظ نفسه فقد أحياه ووضعه أمام الناس كي ينظروا إليه و بالصورة التي كان يرجوها...

ليس من السهل أن تكون رسائل الجاحظ مَوْضِعَ دراسة و ليس من السهل أن ندخل إلى عالم الجاحظ من هذا الباب المغلق المحكم الغلق، و الذي يطلب مفاتيح من نوع خاص تتناسب و عبقرية هذا الرجل .

إن محاولةَ فَتْحَ مغاليق هذا الأدب هو شبيه بفك الشيفرة التي تتطلب مهارات جمّة قد لا تتوّفر لباحثه مبتدئة و لكن حسبها من الحقّ الاعتراف .

3- ملاحظة لابد منها :

[1]-الجاحظ، رسائل الجاحظ، دار الخانجي بدون تاريخ (الجزء 1)ص: 413 .

يقول الدكتور المرحوم محمد الطناجي : << ... وقراءة الجاحظ إذا أخذت بحقّها قادت إلى المكتبة العربية كلها، بفنونها و علومها المختلفة إذْ كَان الجاحظ كثير الإلمامِ بالعلوم العربية، لا يكاد يشذ عنه منها شيئ و بخاصة في (رسائله) التي لم تؤت مَا تستحقه من الدرس، لأن الناس شغلوا عنها بكتبه الأخرى، البيان و الحيوان و البجلاء والعثمانية، عَلَى أنَّ أهم ما تستثيره عندي قراءة الجاحظ الآن هو : ما خط الشباب من كتب الجاحظ و من اليه...؟>>.

لقد قال ابن خلدون قولته: << .... وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أنّ أصول هذا الفن – علم الأدب – و أركانه أربعة دواوين و هي أدب الكاتب لابن قتيبة و كتاب الكامل للمبرد و كتاب البيان و التبيين للجاحظ و كتاب النوادر لأبي علي القالي وما يستوى هذه الأربعة فتبع لها و فروع عنها ....>>

و نعم لَقَد أَحْسَن كل الإحسان من عدّ هذه الأربعة أصول علم الأدب فإنَّ كتاب ابن قتيبة يدور حول اللغة، في تسمية الأشياء و خلق الانسان و الحيوان و أصول الهجاء، وضوابط الأبنية و تقديم اللسان و لحن العامة، و كتاب المبرد كتاب لغة و نحو و أخبار وبخاصة أخبار الخوارج – و كتاب الجاحظ دائر حول البيان و البلاغة و الخطابة، مع الاسترسال إلى المعارف الأخرى، وكتاب القالي المعروف بالأمالي و النوادر كتاب لغة وغريب و شعره فمن حَصَل هذه الكتب ثم أطال الوقوف عندها و النَظَر اليها فاز بأوفر الحظ و النصيب [2].

4- رسائل الجاحظ :

الرسائل التي تم رصدها و تمكين القارئ منها و التي أدرجها المحقق عبد السلام هارون ضمن مجموع رسائلها هي كالتالي:

1-رسالة مناصب الترك .

2-رسالة المعاش و المعاد .

3-رسالة كتمان السر و حفظ اللسان .

4-رسالة فخر السودان على البيضان .

[2]- محمد الطناجي – مقالات في اللغة و الادب ، دار الشبائر، ط1،2002، الجزء 1 ، ص: 261 ، وما بعدها .

5-رسالة في الجد و الهزل

6-رسالة في نفي الشبيه .

7-رسالة في الفتيا .

8-رسالة إلى أي الفرج بن نجاح الكاتب .

9-رسالة في فعل ما بين العداوة و الحسد .

10- رسالة في النيابته

11- رسالة في الحجّاب .

12- رسالة في مفاخرة الجواري و الغلمان .

13- رسالة في العتيان.

14- رسالة في ذم أخلاق الكتاب .

15- رسالة في البغال .

16- رسالة في الحنين إلى الأوطان [3]

5- دراسة و تحليل الرسائل :

سنحاول في هذه الدراسة أن نتذّوق هذا الفن من خلال الجاحظ، و سنحاول أن تكون ضمن التصور السياقي الممزوج مع بعض الإيغال و الاستطان الداخلي النسقي .

لا يمكن لنا في دراسة سريعة أن نتخلص من الإطار التاريخي البياني ولا من رواسب البيئة و المحيط و اللغة المتاحة نحن أمام شخصيّة عبقرية تحاول أن تظهر ماثلة في كل منتوجها و تحاول أن تقول الذي تريد أن تقوله .

يخطأ الظن من يحاول أن يضع يده على العقليّة الجاحظية ولا على القلم الجاحظي المتلوّن بعدّة مسوحات و بعدّة لبوس .

يعتبر الجاحظ مدرسةً فريدةً في تاريخ نثرنا العربي و هو خَط افتتاحي لوحده .

[3]- الجاحظ ، رسائل الجاحظ مصدر سابق 495/2 وما بعدها .

وقد تلّقى الإتجاه النثري أدبَ الجاحظِ بشيء من الرهبة و الحذفِ و التقديس أقصد بالتقديس هو الرسم المسبق في الذهن استحالة مطاولته ولاَ الوصول اليه ووضع اليد على مكامنِ الضعفِ و القوّةِ .

الجاحظ مدرسة لوحده، و هو أمّة نثريّة لوحده آمن بذلك من آمن و جَحد ذلك مَنْ حجد .

6- استهلالات الرسائل:

الجاحظ في كل رسائله المتاحة لنا ينطلق من ديباجة نخاطب بها دَوْمًا من وجّه اليه الرسالة أو مَن عَنَاه بها أو من ألّفها له و حقيقة نجد أنفسنا أمام قوّة بلاغيّة متدفقة في هذه البدايات التي تعتبر تتويجًا للبلاغة الجاحظية و البيان الجاحظي .

ففي رسالة مناقب الترك يقول الجاحظ: "وَفَقَك الله لرشدك و أعَان على شُكْرِكَ وأَصْلَحَكَ و أَصْلَح على يديك، و جعلنا و إياك ممّن يقول بالحق و يعمل به، و يؤثره ويحتمل ما فيه ممّا قد يصدّه عنه ولا يكون حظه منه، الوصف له و المعرفة به، دون الحثِّ عليه و الانقطاع له، و كشف القِنَاعِ فيه، و إيصاله إلى أهله، و الصَبْر على المحافظة في أَلَّا يصل إلى غيرهم، و التثبت في تحقيقه لديهم، فإن الله تعالى لم يُعَلِّم النَاس ليكونوا عالمين دون أن يكونوا عاملين بل علّمهم ليعملوا و بَيَّنَ لهم ليتقوا التورّط في وسطِ الخَوْفِ والوقوعِ في المضارِ و التوسُط في المهالِكِ ..." [4]

(...وقد أعجبني مَا رأيت من شَغَفِكِ بطاعة إمَامِك و المحاماةِ لتدبير خليفتك وإشفاقِكِ من كل خَلَلٍ و حلّةٍ دَخَل على ملكه وَ إن دَقَ، ونالَ سلطانه و إن صَغُرَ...)[5]

و الحقيقة أن الجاحظ يكون دقيقا في بداياته و يحاول أن يرسم الصورة لما يكون عليه النص بَعْدَ ذَلِكَ .

و يقول في رسالة المعاش و المعاد: << ...و إنِّي عرفتك – أكرمك الله– في أيام الحداثة ، وحيث سلطان اللّهو المُخْلِقِ للأعراضِ أغلبُ على نظرائِكِ و سكر الشباب و الجدّة المتحيِّفين للدّين و المروءة مُسْتَولٍ على لداتك فاصبرت أنت وهم فَفُقْتهم ببسطة

[4]-الجاحظ، رسائل الجاحظ مصدر سابق/ الجزء الاول 5 .

[5]-مصدر سابق 6/1 وما بعدها .

المقدرة وَحَميّا الحداثة وَ طَوْلِ الجِدَة مع ما تقدّمتهم فيه من الوسامة في الصورة و الجمال في الهيئة و هذه كلها أسباب تكاد أن توجِبَ الإنقياد للهوى و لُجَجٌ مِنَ الهَالِكِ لاَ يسلم منها إلاَّ المنقطع القرين في صحة القطرة و كمال العقل، فاستبعدتهم الشَّهوات حتى أعطوها أزمَّة أديانهم وسلّطوها على مروءاتهم، و أباحرها أعرافهم، فآلت بأكثرهم الحال إلى ذُلِّ العُدْمِ وفَقْدِ عزِّ الغِنَى في العِاجِلِ و النَّدامةِ الطويلة و الحسرة في الآجل... [6]

و هي رسالة كتبها الجاحظ إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد لا إلى محمد بن عبد الملك، لأنه يذكر في صَدْرِهَا أنه عَرَف المكتوب إليه أيام الحداثة ولاَ ينطبق ذلك على محمد بن عبد الملك الزيات فقد كانت حياته بين سنتي 173 هـ و 233 هـ ولم تعرف صلة الجاحظ به إلاَّ أيام سلطانهِ [7]

على عكس الرسالة الأول فقد وجهَّها للفتح بن حاقان و هو وزير المتوكل العباسي وكان أديبًّا شاعرًا فصيحًا بَارِعِ الذكاءِ و كانت له خزانة كتب حافلة و له مؤلفات منها اختلاف الملوك و كتاب الصيد و الجوارح و كتاب الروضة و الزهر و قَتل مَعَ المتوكل سنة 247 هـ و هو غير الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان صاحب قلائد العقيان [8]

و في رسالة كتمان السر يقول الجاحظ : << أما بعد : فإني قد تصَّفحت أَخْلاَقَكَ وتدبرت أَعْرَاقَكَ، و تَأَملت شيَّمكَ ووزنتك فَعَرَفْتُ مِقْدَارَكَ وقوّمتك فعلمت قِيمَتك فوجدتك قد ناهزتَ الكَمَالَ و أوفيت على التمام و توّقَلْت في دَرجِ الفضائل، و كدت تكون منقطع القرين، و قاربت أن تلعن عديم النظير، لاَ يَطمع فَاضِلٌ أن يفوتَكَ وَلاَ يأنف شريف أن يقصر دُونَكَ ولا يخشع عالم أن يأخذ عَنْكَ ...>>[9]

و في رسالة فخر السودان على البيضان: << تولاك الله و حَفِظَكَ و أَسْعَدَك بطاعتِه وَ جَعَلَكَ مِنَ الفائزين برحمته، ذكرتَ –أعادك الله– ، أنّك قرأت كتابي في محاجّة

---

[6]-مصدر سابق 90/1.

[7]-مصدر سابق 91/1.

[8]-مصدر سابق 18/1 و الذي بعده .

[9]- الجاحظ: مصدر سابق 139/1 وما بعدها

الصُّرَحَاءِ للهجناءِ وردِّ الهجناءِ و جواب أقوال الهجناء و أنِّي لم أذكر فيه شيئا من مفاخر السودانِ، فأعلَّم حَفِظك الله أنِّي إنَّما أخّرتُ ذَلِكَ متعمّدًا [10] .

فالجاحظ في كل رسالته يبقى على طريقة واحدة في الاستهلال و الولوج إلى صلب الموضوع و إلى الغرض الخاص الذي صَدَرَّ به رسالته .

و على عكس مَا سَبَقَ فَقَدْ دَخَلَ الجاحظ مباشرة في العتاب و ذَلِكَ في رسالته : رسالةَ الجدِّ و الهزل حيث يقول : << جُعِلْتُ فِدَاكَ ليس من أَجْلِ اختياري النَخْلِ على الزَّرْعِ أقصيتني وَلاَ على مَيْلٍ إلى الصَدَّاقةِ دون اعطائي الخِرَاجَ عاقبتني ولاَ لِبُغْضِ دَفْعِ الإِتَاوَة والرضا بالجزيّة حَرَمْتَنِي .

وَ لَسْتُ أَدْرِي لِمَ كَرِهْتَ قُرْبِي وَهَوَيتَ بُعْدِي، و استثقلتَ روحي و نَفْسِي، و اسْتَطَلْتَ عُمْرِي و أيامض مُقَامِي، ولم سرّتك سيئتي و مصيبتي و ساءتك حسنتي و سَلَامتِي حَتَى سَاءَك تجملي بقدر مَا سَرَّك جَذَعِي و تَضَجُّرِي وَ حَتَى تَمَنَّيت أَن أخطئ عليه فتجعل خطئ حجّة لَك فِي إبْعَادِي و كَرِهْتَ صوابي قيل خَوْفًا مِنْ أن تجعله ذريعةً لَكَ إلى تقريبي فإن كان ذلك هو الذي أغضبك وكان هو السَبَب لموجدتك فليس جُعِلْتَ فداك – هذا الحِقْدُ في طبقة هذا الذنب ولا هذه المطالبة من شكل هَذِهِ الجريمة .

ولَوْ كان إذ لم يكن في وزنه وَقَعَ قريباً، وإذْ لم يكن عِدْلَهُ وَقَعَ مُشْبِهِا كِانَ أَهْوَنَ في موضع الضَّرَرِ و أَسْهَلَ في مَخْرَجِ السَمَاعِ...) [11]

و الحقيقة أَنَّ الجاحظ قد أجاد في مستهل رسالته للإحتجاج لقدره و لتحويل وجه المعتذر له إليه .

الجاحظ (ماركة) مسجلَّة في البيان العربي لاَ يمكن أن نغفلها في محاولة فهمنا لحركة النشر العربي بعد القرن الثالث و الرابع الهجريين .

7- أساليب التعبير في رسائل الجاحظ :

أ- **اللغة:** بالنسبة إلى الجاحظ كالفَرَسِ الذَلول بالنسبة إلى فارسها تتسِّم لعنة بالغزارة فلا تدعه يفتقر إلى الألفاظ التي تعبر لا عن المعنى فحسب بَلْ عن أدَّق ظلاِلهِ كما تتسِّم بالمرونة التي تمكنه من التنويع، وفقًا لمقتضى الحال .

---

[10]-مصدر سابق 177/1 وما بعدها .

[11]-مصدر سابق ج231/1-232.

و كان الجاحظ أحياناً في محمل رسائله يلجأ إلى الصنعة القائمة على التنقيح في اختيار الألفاظ و التعابير الملائمة للمعاني ولا يتجاوزها إلى التصنّع و الخروج من حيّز الطبع إلى حيّز التكلف أما ميله إلى التنقيح و حسن الاختيار فمردّه إلى .....النقد إذ طالمَا تعرَّض للطعن في آثاره، اسمعه يقول : << و ينبغي لمن كتب كتاب ألاَّ يكتبه إلا على أنَّ الناس كلهم له أعداء، و كلّهم عالم بالأمورِ و كلّهم متفرغ له، ثم لاَ يَرْضَى بِذَلِكَ حتى يَدَعَ كتابه غُفْلاً وَلاَ يرضى بالرأي الفطير...))[12]

و من أبرز سماته في هذه الرسائل و في غيرها ولاَ حاجة لنا بالتمثيل فننقل كلَّ مَا يرد وصفه في الملاحق- أسلوب الوضوح و مجانبته الإغراب لأنه يعتبر غاية البيان تقل المعاني بأمانةٍ ووضوح من ذهن الكاتب إلى ذهن القارئ و هو القائل: الاستعانة بالغريب عجز .

8- الأشكال البلاغية في رسائل الجاحظ :

جاءت كل رسالة الجاحظ في عمومها وفق فلسفته البلاغية ووقف ما قرّره من تصورات في كتابه البيان و التبيين و في كتاب الحيوان ولاَ عجب فهو سيّد الكتابة العربية في عصرها الذهبي ولا يمكن لها أن تخلو من نصوصه الرائعة فمثلا: حديث الجاحظ عن التشبيه التطبيقي صرف، إذ أورد في مؤلفاته المختلفة أمثلة عديدة و متنوعة عن قوانينها وعن نظامها الداخلي سوى بعض الاشارات و الانطباعات الجزئية و التي لا ترتقي إلى مستوى البحث عن الأنساق أو تحليل التجليات إلا أن في العدد الوفير من التشبيهات الوارد فيما تبقى من الرسائل التي بين أيدينا و كذا في بعض تقسيماته السطحية لبعض أنواع هذه الظاهرة من ظواهر فن القول، ما جعل الباحث يطمئن إلى وعي أبي عثمان و اهتمامه الفائق بوسيلة أساسية من وسائل لغة التصوير و التخيّل في الأساليب الجمالية و الإبداعية.

و مثلا فهو يقول : << و>> من النوع نفسه تشبيه النوائح بالبغال النافرة في الأبيات التالية قال أبو عثمان : و قال بعضهم في تشبيه الشيء بالشيء و هذا شعر ينبغي أن يحفظ :

وهيجّ صوت الناعجـــات عشيةً نـــــــوائح أمثال البغال النوافرِ

[12]-الجاحظ كتاب اتباع في أخلاق الملوك، دار الارقم بدون تاريخ، ص: 41-42.

يمخطن أطْرَافَ الأنوفِ حواسرًا يظاهرن بالسوءات هَدْل المشافرِ
بكلى الشجو مَا دون اللهي من حلوقها ولم يبك شجوًا ما وراء الحناجرِ

وما سمعنا في صفة النوائح المستأجرات و في اللواتي ينتحلن الحزن و من خاليات البال بأحسن من هذا الشعر[13].

وَلاَ شَكَ أَن مَرْجع إعجاب الجاحظ بمعنى الأبيات هو نَوْع التماثل الذِي عَقَده الشاعر بين النوائح و البغال النافرة لأنَّ وَجْهَ الشبه منتزع مِنْ أنَّ خلو بالهن و عدم احساسهن بالحزن ثم أصواتهن الهائجة بالبكاء المتكلّف أمور قد تورنت بعدم الاحساس لدى الحيوان الناهق و خلوه من المعاناة الباعثة، على الاسى و التألّم و هو مع ذلك سيترسل في نهيقه و تصويته الذي يبدو بكاءً و ليس ببكاءٍ، كما هو الأمر تمامًا بالنسبة للنائحات المستأجرات وواضح أنَّ هذا التَشبيه لم يصرح فيه بوجه الشبه، كما أنَّه إِلَى جانب ذلك يحتاج إلى أعمال فِكْرٍ كي تُدْرِكَ أُبَعَادَه .

و في رسالةٍ أخرى من رسائله المهمة يعتبر الجاحظ المجاز قسم الحقيقة و مقابلها لأنه يشتق منها كي يذهب به المتكلم إلى معنى آخر قريب من الأصل وذي علاقة به، فالعرب قد تسمى المتعامي أعمى و المتصامم أصم [14] حيث تحمل الكَلاَمَ على غير وجهه الذي وضع له، تجرؤا منها عن اللغة و يقينا من أن السامع العربي لا يجد في الكلام المحمول على الكلام غرابة أو معاناة في الفهم، لأنَّه قد تعود ذلك بنظرة سليمة و جبلَّة غير مخلوطة .

و يقول: << و الكلمة تكون جوابًا قتدل على معنى، ثم تكون ابتداءً فتدل على خلاف ذلك المعنى، و تدور دلالتها مع ظاهر الحالات على قدر ما يسبق من المثالات حتى تكون الكلمة كفرًا في حال و إيمانًا في حالٍ فكذلك المجاز و التصحيح [15]

و كذلك قولهم – جاءتنا أسماء و هم إنما يريدون النعيم الذي يكون بالمطر من شقِّ السماء و ناحيتها و وجهها...)) [16]

---

[13]- الجاحظ، مصدر سابق، 252/2 من كتاب البغال .

[14]-الجاحظ، الرد على المنبهة، طبعة تدعمه تحقيق .د، صالح حاتم الضامن ضمن مالم ينشر من تراث الجاحظ 20 يوما بعدها بدون تصرف.

[15]-الجاحظ، رسالة في الحكمين، مصدر سابق، ص: 421، وما بعدها.

و معنى هذا أن ألفاظ اللغة تحيا حياتها الخاصة وفق علاقات تأثير و تأثرر فالعسل يصير شرابًا و النبات يغدو مطرًا و هذا الأخير يصبح سماءً و كل ذلك في إطار حياة الدلالة اللغوية الناميَّة و المتطورة بفعل بدل الكلمات، فهذه المجازات التي ذكرت على سبيل المثال لاَ الحصرِ توضح أن اللفظ يعبر بحسب أصله عن معنى معيَّن، فيعتمد المتكلم إلى لفظ آخر، مرتبط بذلك اللفظ أو ذلك المعنى، لسبب من الأسباب كإرتباط الشراب بالعسل لأنَّه ناشئ عنه، أو إرتباط السماء بالمطر و أنَّها جهته و موضعه و يطلق على المعنى وهو في صنيعة ذلك عَادِل عن المعنى الأصلي للفظ المجازي، و معبر بهذا اللغظ عما يدل عليه لفظ آخر.

وقد ارتسمت أشكال البلاغة إرتسامًا كبيرًا فكانت رسائله حديقة بلاغية بإمتياز حوَّت الفنون الثلاثة المعاني و البيان و البديع .

و حتى نكون صادقين مع البحث ومع أنفسنا فإنَّه من الإستحالة رسم الصور و إظهارها كاملة لأن الجاحظ يتعمّد التلوين و البساطة.

9- مظاهر ثراء رسائل الجاحظ :

أ- القرآن الكريم:

جاءت الآيات القرآنية في رسائل الجاحظ بحسب الحاجة إليها و بحسب طريقته وفلسفته في إستحضار الشاهد القرآني وقد كان الإتكال على القرآن ديون الكتاب الكبار من لدن نزوله إلى يوم النَّاس هذا .

حتى أن النقد العربي القديم إعتبر خلو النص الأدبي من الآيات الكريمات بمثابة النص الأبثر المنقوص .

و حين تبتع وجود هذه الإستشهادات القرآنية و دورانها في رسائل الجاحظ .

وقد وردت آيات كثيرات في كل الرسائل تقريبا .

1. مثل الآية 14 من سورة الواقعة في رسالة المعلمين .
2. الآية 89 من سورة الأنبياء في رسالة المعلمين .
3. الآية 36 من سورة آل عمران في رسالة المعلمين .

---

[16]-الجاحظ، الحيوان، طبعة الخارجي332/1 ، وما بعدها .

4. الآية 3 من سورة الملك في رسالة التربيع و التدوير .
5. الآية 21 من سورة الحديد في رسالة التربيع و التدوير .
6. الآية 52 من سورة مريم في التربيع و التدوير .
7. الآية 12 من سورة الصافات في رسالة التربيع والتدوير.
8. الآية 33 من سورة التوبة في رسالة حجج النبوة .
9. الآية 28 من سورة سبأ في رسالة حجج النبوة .
10. الآية 82-85 من سورة المائدة في رسالة الرد على النصارى .

ب- الأحاديث :

ورد الحديث الشريف موَّزعًا في رسائل الجاحظ حَسب الحاجة إليه هو الآخر وقد كان الجاحظ على صلَّة كبيرة بالبلاغة النبوية و بالمعارف الشريفة وكان كلَّما سنحت فرصة إلاَّ وذكر في ذلك حديثا شريفا لتقوية مذهبه و لتقوية عبارته فالبلاغة النبويَّة إذا وجدت ضمن النصوص النثرية كانت تاجًا يضفى صفة العلو على النص، و الحقيقة أنَّ الجاحظ كان على إطلاعٍ كبير بالسنة و نصوصها .

فقد وردت أحاديث في معرض ذكر الفصاحة ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه و سلم : << أنا أفصح العرب بيد أني من قريش و نشأت في بني سعد بن بكر...>>[17]

ورد الحديث الشريف : << دَبَّ اليكم داء الأمم من قبلكم: الحَسَدُ و البعضاء >>[18]

وورد الحديث الشريف : << لا تضامون في رؤيته كما لا تضامون في القمر ليلة البدر..>>[19]

و قوله صلى الله عليه و سلم << اللم أشدد وطأتك على مضر >> (4)

[17]-الجاحظ، مصدر سابق،117/2.

[18]-الجاحظ، مصدر سابق 4/1

[19]-الجاحظ مصدر سابق، 12/2.

4- الجاحظ مصدر سابق،267/1.